حُمّى الحُبّ

تأليف فِرَاس المَحمُود

إعداد أَحمَد طَيْفُور

الكتاب: حُمّى الحُبّ

المؤلف: فِرَاس المَحمُود

رقم الإيداع: ٢٠٢١\٢١٧٨٠

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٩٣٣-٠٤-٠

***

دار الميدان للنشر و التوزيع

جمهورية مصر العربية

هاتف ٠١٠٩٩١٣٥٠٧٤

Website: www.daralmidan.com
mail: almidan@daralmidan.com-E

إهداء

إلى كُلِّ مَن عَزَفَ عَلَى أَنَامِل عَذرَاء

أسعَفَهُ الإحساسُ... . وَخَانَهُ اللَّحنُ

وبَقِي وحيداً... . . يُعَانِي حُمّى الحُبّ

رَأَيتُ وَردَةً جَمِيلَةً، يَأنَسُ نَاظِرُهَا، وَفِيهَا رَونَقٌ أَخَّاذٌ سَاحِرٌ، وَلِمَا لَا وَهِيَ شَمسُ الحَيَاةِ الَّتِي أَنارَتْ حَيَاتِي، وأدفَأَتْ قَلبِي، وزيّنَتْ قَصرِي

وَأعطَتْنِي حُبّاً لَا يَنتَهِي، وَحِين رَحَلَتْ رَحَل كُلُّ شَيءٍ جَمِيلٍ مَعَهَا، أَخَذَت المَاضِي، وَأَخَذَت الحَاضِر، وَأَخَذَتْ بَسمَةً كُنتُ أعشَقُهَا ، فَبَحَثْتُ عَنهَا فِي كُلِّ مَكَان وَلَكِنِّي وَجَدْتُ كُلَّ الأَمكِنَة

وَلَم أَجِدْهَا . . . .

وَسَافَرْتُ إلَى كُلِّ الأزمنةِ.... . .

عَلِّنِي أَتَحَدّثُ إلَيهَا فِي زَمَنٍ مَا قَد كُنَّا مَعاً

فَأَسَألهَا أَنْ نَعُودَ كَمَا كُنَّا أَو تُخبِرَنِي وَصفَةً لِلنِّسيَان

فَعُدَّتُ وَحِيداً ... وَهِيَ لَم تَعُدْ، وَكُلٌّ مِنَّا أَصبَح يَعِيشُ فِي مكان .

جَلَسنَا مَعَ جَدَّتِي ذَاتَ يَومٍ، وطلبنَا مِنهَا أَنَّ تُخبِرَنَا حِكَايَةً مَن حكايات المَاضِي ، فكبار السِّنّ لَدَيهِم قِصَصٌ تتجلّى الحِكمَةُ فِي رُوحِهَا وَالحُبُّ بَين سُطُورِهَا، وَهِيَ أيضاً رِحلَةٌ إلَى أخبَارِ ذَلك الزَّمَان

وَلَا تَخلُو حكاياتُهم مِن العِبرَةِ والأسلوب الشَّيّقِ والتجاربِ المفيدةِ .

فَقَالَتْ جَدَّتِي : (سأُخبِرُكُم حِكَايَة المَلِك الطَّيِّب وحبيبتهِ الضَّائِعَة) فتَبادرَ فِي ذِهنِي أَنَّهَا قِصَّةٌ مِنَ قِصَصِ الخَيَال

وَلَكِن...... لَم تكُن كَذَلِكَ .

القَصرُ المَلَكِيّ

فِي مَكَان مَا ، كَانَ هُنَاكَ قَصرٌ جَمِيلٌ ، حَيثُ الأَسوَارُ العَالِيَة ،وَالحَدَائِقُ الجَمِيلَة ، ويسكُنُهُ مَلِكٌ وَمَجمُوعَةٌ مِن أطياف القَصرِ ، وَهَذِه الأطيافُ تَشغَلُ كُلّ مَنَاصب القَصر فَمِنهُم المُستَشَار ، وَمِنهُم الطَّبِيب، وَأَكثَرُهُم باحثون فِي الفِكرِ .

حَرَكَةٌ غَيرُ اعتياديةِ تَحدُثُ فِي القَصرِ ، يَبدُو أَنَّ المَلِكَ سَوف يَجتَمِعُ مَع الرَّعِيَّةِ ، جَلَس المَلِك عَلَى عَرشِهِ بَعدَ أَنْ غَابَ فِي جَنَاحِهِ الخَاص سِتَّ سِنِين ، وَقَد بَدَا مُتعَباً شَاحِب الوَجه ، هَزِيلَ الجَسَد ، و بَدَا عَلَيه أعرَاضُ المَرَضِ وَالعَجزِ وَالوَهَن . . . .

نَظَرَ المَلِكُ فِي وَجهِ أعضَاءِ قَصرِه

وَقَال : (أعرِفُ بِأَنَّ لَدَيكُم أسئِلَةً كَثِيرَةً عَمَّا حَدَثَ لِي ، وَأَنَا الآنَ مُستَعِدٌّ لِأُجِيبَ عَنهَا

وَلَكِن أرجُو أنْ تساعدوني بَعدَهَا) .

أجَاب الجَمِيعُ : (هَذَا وَاجِبُنَا يَا سَيِّدِي المَلِك)

فسَأَلَ مُستَشارُ القَصرِ الَّذِي يُدعَى الحَكِيم :

(أينَ ذَهَبَتْ بَتُول الَّتِي سكنتِ القَصرَ أربَعَ سِنِينَ ، وَنَحنُ نَعلَمُ بِأَنَّ الخُرُوجَ مِن هَذَا القَصرِ لَيسَ بِالأمر السّهل ؟!) .

المَلِك : ((يَتَوجّب عَلَيَّ قَبلَ أنْ أخبِرَكُم كَيف رَحلَتْ بَتُول مِن هَذَا القَصرِ، كَيف دَخَلَتْ هُنا؟! أنتُم تَعرِفُون بِأَنَّهُ فِي هَذَا القَصرِ لَا يَعِيشُ فِيهِ سِوَى أنَا وَأنتُم ، وَفِي حَيَاةِ أخرَى

أَنَا شَخصٌ اسمِي عَلِيّ مِن عَامَةِ النَّاسِ ، وَفِي تِلك الحَيَاة عِندَمَا كُنت فِي المَرحَلَةِ الجَامِعِيّة ، كَانَ هَذَا القَصرُ بِمَا فِيهِ أَنتُم ، سِرِّي الوَحِيد الَّذِي لَم يَعرِفهُ أَحَدٌ قط ، وَفِي إحدَى الأَيَّام بَينَمَا كُنَّا أَنَا وَصَدِيقِي أحمَد نجوبُ أرجَاء الكُلِّيَّة وَصَّلنَا إلَى أَحَدِ أدرَاجِ الجَامِعَةِ فصَعَدنَا وهُنَاك التَقَيتُ ببَتُولِ وَأُختهَا قَمَر الشَّام لأَوَّلِ مَرَّةٍ ، حَيثُ كَانَتَا عَلَى مَعرِفَةٍ مسبَقَةٍ بِأَحمَدَ ، فَاجتَمَعنَا مَعاً وتَبَادلنَا الحَدِيث ، وَمِن هُنَا عَرِفتُ بَتُول فَكَانَتْ فِي بَادِئِ الأَمرِ حَزِينَةً ، يتملّك اليَأسُ قلبهَا، وَتَحتَاج مَن يَبعَث الأَمَل وَالحُبَّ فِي قَلبِهَا لِتَصِلَ إلَى أَهدافِها ، فَمَا كَانَ مِنِّي إلَّا أَنْ نسجْتُ لَهَا مِن خُيُوطِ الحُبّ مَرَكَّباً ، شِرَاعُهُ الأَمَل لَتَصِل بِهِ إلَى شَاطِئِ الأَمَان ، وَمَع مُرُور الوَقتِ وَبَعدَ عِدَّة لِقاءاتٍ ، رَأَيتُهَا وَرَدَّةً جَمِيلَةً فِيهَا كُلُّ مَا أَرجُو مِن هَذِهِ الحياة

وَأيقَنتُ بِأَنَّهَا اختِيَارِيّ الَّذِي أبحَثُ عَنه ، فَقَد أَحبَبتُ هُدُوءَهَا وعَفوِيّتَهَا وطُموحَهَا

عَدَا كُلّ ذَلِكَ ذَكَاؤهَا ، فَكُلّ الحَدِيثِ كان مَعَهَا شيِّقٌ.

فَقَد كَانَتْ فَتَاةً مُختَلِفَةً بِكُلِّ شَيءٍ ، لَم أعرِفْ مِن قَبلُ فَتَاةً مثلَها

إذاً لابُدَّ أَنْ أُعلِنَ حُبِّي لَهَا . . . .

وَلَكِن كَيفَ ؟ وَمَتَى ؟ لَا أدري . . .

هُنَالك شَوقٌ يجمَعنَا كُلَّ يَومٍ، وَلَا أَحفَظُ الأَيَّام الَّتِي لَا تَكُونُ بَتُولُ بِصُحبَتِي، وَقتَي كُلُّه لَهَا وَلَا أَشعُرُ كَيف يَمضِي الوَقتُ بِحَضرَتِهَا ؟.

فَجَمَعتُ كُلّ أفكاري المُبعثَرَة ، لأعتَرَف بِحُبِي لَهَا

والتَقَينَا فِي اليَومِ المنشُودِ ، فَطَلَبتُ مِنهَا أَنَّ نَذهَب إلَى حَدِيقَةٍ بِجَانِب الكُلِّيّة تُسَمَّى حَدِيقة الأصدِقَاء ، الَّتِي لَا أَرَى فِيهَا عَادَةً إلَّا العُشَّاق فَجَلَسنَا عَلَى مَقعَدِنَا الَّذِي أَصبَحَ جُزءاً مِن قِصَّةِ حُبِّنَا .

وَقُلْتُ لَهَا:(بتول، هُنَالكَ مَن تَشغَل

فِكرِي وَقَلبِي)

قَالَتْ : (مَن هِيَ) ؟!

قُلْتُ : (هِيَ مَلّاكِي وَلَا أَدرِي إنْ كَانَتْ تَهوَانِي

بَل كَانَتْ فِي كُلِّ يَومٍ تَرَانِي

هِي طَلَعَةُ البَدرِ الأَبيَضِ وَنَورَهُ

وَأَنَا قَتِيلُهَا وَلَيس سِوَاهَا الجَانِي

كُنَّا أصحَاباً وَلم أَزَل أرتَوِي

وَصَل المَحَبّة غَيرِ ذِي أحزانِ)

فَقَالَتْ متَبَسّمِة واعتَلَى وَجهُهَا الغَيرَة :

(وَمن غَيرِي كُلَّ يَومٍ تَرَاهَا) ؟!

فقلتُ :(وَمن غَيرُكِ تَرضَى عَينَاي أَن تَرَاهَا) ؟

فَقَالَتْ :(لقد أَخبَرَتْنِي عَينَاكَ بحُبّكَ قَبل كَلِمَاتِك)

فَفَرِحنَا بِحُبِّنَا ، وَبَدَأنَا التَّعَمُّقَ أ كثَر فَأَكثَر في مَعرِفَة بَعضِنَا البَعض)).

وأكمَل المَلِك مُخَاطَبًا أعضَاء قَصرِه :

(أَصبَحَتْ بَتُول كُلَّ حَيَاتِي ، وحُبِّي لَهَا لَم تَعُدْ تَستَطِيع وَصفَه الكَلِمَات) .

المَلِك يَتَكَلَّم عَن ذِكرَيَاتِه فِي الجَامِعَةِ

((ذَاتَ يَومٍ جلَسنَا أنَا وبتول ، نَتَبَادل أطرَاف الحَدِيثِ ، فَانتَبَهْتُ بِأَنَّ أَحَدَ أَصَابِع يَدَيهَا بِلَا أظفرٍ، أمسَكتُ إصبعَهَا وَسَأَلْتُهَا مَاذَا حَدَثَ لَهُ ؟ فرَاحَتْ تُخبِرُنِي عَن قِصّةٍ حَدَثَتْ مَعَهَا عِندَمَا كَانَتْ صَغِيرَةً ، حَيثُ أَنّ إحدَى أخَوَاتِهَا قَامَتْ بإغلَاق البَابِ عَلَى يَدِهَا، وأصبَح إصبعها بِهَذا الشَّكلِ ،أسبَلْنَا يَدَانَا معاً وَتَشَابَكَتْ أصَابعُنَا لِأَوَّل مرةِ،   فأمسَكَتْ يَدَي بِشِدَّةٍ ، وَكَأَنّ رُوحَهَا تَوَحَّدَت مَع رُوحِي ، لَقَد شَعَرْتُ بشوقِها وحُبِّها لِي، ولأَوَّلِ مَرَّةٍ أعرِف بِأَنَّ لُغَة الجَسَد لَيسَت أَقَلّ بَلَاغَةً مِنَ الكَلَامِ ، وَعِندَهَا حَدَثَ أمرٌ غَرِيب

وَكَان ذَاك الأمرُ الغريبُ بِأَنَّهَا جَاءَتْ هُنَا إلَى القَصرِ بصُحبَتِي ، دُونَ أَنْ تَعرِفَ شَيئًا مُسبَقا عنه .

أَنَا وَهِيَ   وَقَفنَا أَمَام البوّابة الكَبِيرَةِ ، لَكِنَّنِي تذَكَّرْتُ بِأَنَّ هَذَا القَصرَ عَلَى جَمَالِه ، لَرُبَّمَا يومًا مَا ، لَن تُطِيقَ العَيشَ فِيهِ وَالخُرُوج مِنهُ لَيسَ بِالأَمر السَّهل أَيضًا ، وَلهَذَا السَّبَب لَم أُرِدْ بِأَنْ تُسجَنَ هُنَا ، فَطَلَبتُ مِنهَا التَّرَاجُع وَالخُرُوجَ مِنَ البوّابة الَّتِي أَوَّل مَرَّةٍ أَجِدُهَا تُفتَحُ)

فَقَالَتْ : (لِمَاذَا ؟ أُنظُر كَم هُوَ جَمِيلٌ)

وَرَاحَتْ تَنظُرُ فِي وَجهِي مبتَسمةً وتَسأَلُنِي :

(كَيف جِئنَا هُنَا ؟ هَل تَعرِفُ هَذَا المَكَانَ ؟)

فأَجبتُها: (نَعَم أَعرِف هذا المَكَانَ فَهُوَ بَيتِي الآخَرُ وَلَا يَعِيشُ فِيهِ سِوَاي

ولَكِنَّنِي لَا أَعرِف كَيف أَنتِ جِئتِ هُنَا ؟ ! ! .)

فابتَسمتْ وِأَشّرقتْ عَينَاهَا وَقَالَتْ : (حَبِيبِي يَكفِي أَنْ

تَكُونَ هُنَا ، لِكَي أبقَى مَعَك . . . . .)

فَذَهَبَتْ، تركضُ فِي باحَةِ القَصرِ ، كطفلةٍ يَشُدُّهَا شَغفُ المُغامَرَة لجَمَال القَصر ، كَأَنَّهَا فَرَاشَةٌ تداعبُ الأزهَارَ وَدَخَلَتْ إلَى الصَّالَّة الكَبِيرَة فَي القَصر ، وَهُنَا أنتُم يَا أطيافَ القَصر رَأَيتُمُوهَا ، وَلَكِن هِيَ لَم تَرَكَم ، فتنقَّلَتْ فِي كُلِّ أرجاءِ القَصرِ حَتَّى وَصَلَتْ إلَى المكتَبة، وَبَدَأتْ تَقرَأُ عناوينَ الكُتُبِ ، وَالرِّوَايَات، وَبَعض أفكَارٍ كُتِبَتْ عَلَى قُصَاصَة وَرَقٍ . . . .

تركض نَحوِي تشدُّني مِن يَدِي وَتَقُول: أُنظُر جَمَالَ هَذَا وَهَذَا . . .

وَلَا تعلَمُ أَنَّ السَّجِينَ يَعرِفُ كُلَّ زَاوِيَةٍ فِي قَصرِهِ .

وَمَن ثُمّ صَعدتْ إلَى مَنَارَة القَصر وَوَضَعَتْ يَدَاهَا عَلَى

جَبِينِهَا مُغلَقَة جفنَيهَا قَلِيلاً مُحَاوَلَةً أَنْ تَرَى مَا وَرَاءَ السورِ، لَم تُبصِرْ إلّا غَابَةً أَشَدّ ظُلمَةً مِن نَفسٍ تَتُوهُ فِي المكَانِ وَالزَّمَانِ . . . .

ثُمَّ ذَهَبْنا إلَى حَدِيقَةِ القَصر، وزرعنا شَجَرَةً لِتكُون عَلَامَةً عَن الحُبِّ الَّذِي جَمَعنَا ، وتبادلنا عُهُود الحُبِّ ، بِأَن نبقى مَعَاً لَا يفرقنا زَمَانٌ أَو مَكَانٌ أَو أعرا فٌ ، أَعطَيتُهَا عَهد الوَفَاء، وَأَعطَتْنِي عَهد البَقَاء

وهنا بدأ فَصلٌ جَدِيدٌ ومرحلةٌ جَدِيدَةٌ مِنَ الحُبِّ فِي داخل القَصرِ وَخَارِجِه .

وأَصبَحَتْ بَتُول الأَنفَّاسَ الَّتِي أتنفَّسُها وَحُلمِي الجَمِيل ، الَّذِي لَا أُرِيدُ أَنْ اصحو مِنه ، وَشَمس حَيَاتِي الَّتِي أَضَاءَت كُلّ دروبي . . . .)) .

حِوارٌ مَعَ النَّفسِ

حِينَ تكُونُ شَخصاً فِي هَذِه الحَيَاةِ ، تَدرُسُ تَعمَلُ ، تُجَالِسُ الأَهلَ وَالأَصدِقَاء ، تَعِيشُ تَجَارِبًا وذكرياتٍ .

لاَبُدَّ أَنْ تَمُرَّ فِي مَرحَلَةٍ ، تَجِد الروتِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، تَجِدُ الأَحدَاث كُلُّهَا مُكَرَّرَةً ، وَلَا مَعنَى لِكَلِمَاتِ تُعِيدُهَا كَوكَب الشَّرق أَكثَرَ مِن مَرَّةٍ، وَتَسأَل نَفسَك أَلَيس هُنَاك مَلَلٌ مِن هَذَا التَّكرَارَ ؟ فَلِذَلِك تشعر بِأَنَّك تَحتَاجَ شُعُوراً جَدِيدَاً لَم تَشعُرْ بِهِ مِن قَبلُ ، لَرُبَّمَا أَنت تَحتَاج العِشق .

أَجل ، أَنتَ تَحتَاج العِشقَ ....

كَمَرِيضٍ أُخِذَ إِلَى مَشفَى ، فَيُوضَع لَه سيروبُ الحُبِّ قَطرَةً قَطرَة ، تَدخُل الجَسَد فَتَهدَأ النَّفس وتُعطِيك طَاقَةً لَا

تُترجم إلَّا فِي لُغَةِ الحُبِّ .

العِشقُ. . . . . شُعُورٌ بِنَفَسٍ عَمِيقٍ رُغمَ التَّلَوُّثِ ، شُعُورٌ بِهُدُوءٍ تَامٍّ رُغمَ الضَجيج ، لِأَنّ أُذُنَيك تُصبِح لَا تُمَيِّزُ إلَّا صَوتَهَا ، وتَجِد أَنَّ تِكرَارَ كَوكَب الشَّرق حِينَ تَقُول :(عوّدت عِينَي عَلَى رؤياك)، لَا تَتَشَابَه مَرَّةً مَع أُخرَى ، وَكَأَنَّ فِي كُلِّ مَرَّةٍ هِي آهٌ مِن القَلب، وإحساسٌ جَدِيدٌ يَبعَثُ فِيك شُعُوراً مُختَلِفًا .

هُو العِشقُ الَّذِي يَجعَلُك تَعَشَّقُ كُلَّ الوُجُودِ، فَلَا كَآبَة مِن مَاضٍ ذَهَب ، وَلَا يَأْسٌ مِن حَاضِرٍ وَلَا خَوفٌ وقلقٌ مِن مستقبل .

وَتَنزَعُ الابتِسَامَةَ مِن كُلِّ وَجهٍ تَرَاه ، حَتَّى وَلَو كَانَ حَزِيناً ، تَمشِي وَكَأَنَّك تَطِير ، وَحِين تَرَى حَبِيبتُك فِي مَكَان مَا ، يُختزَلُ كُلُّ المَشهَد ،وَلَا يَبقى إلَّا وَجهُهَا وابتسامتُها، الَّتِي

تُخبِرُكَ بِمَدَى حُبِّهَا لَك ، وبأَنَّك أَصبَحت كُلَّ عَالَمِهَا ، فَحَاوِل يَا صَدِيقِي ، أَن تُترجم ذَلك الحُبَّ بِأفعَالٍ وَلَيس كَلِمَاتٍ ووعودٍ .

مَا أَجمَلَ العِشقَ المتكافئ الطَّرَفَين ، وَكُلَّمَا تَمضِي الأَيَّامُ يُحَاوِلُ أَحَدُهُم أن يُبَرهِن لِلآخَرِ بِأَنَّ حُبَّه هُوَ الأَكثَرُ ، وَلَدَيه تَضحِيَةٌ يُقَدِّمُهَا وَمَوَدَّةٌ لا تنقطع وَوَفَاءٌ لا ينتهي.

المَلِكُ يَتَحَدَّثُ عَن ذِكرَيَاته فِي الجَامِعَة

(كَم هُوَ جَمِيلٌ يَومُ السَّبتِ ، حَيثُ الدَّوَامُ قَصِيرٌ ويتسنى لِي حِينَهَا أَنْ أَبقَى مَع بَتُول وَقتًا أَكثَرَ

كَم هُوَ جَمِيلٌ تَوقِيت السَّاعَةِ العَاشِرَةِ حِين نَلتَقِي نَتَعَرّفُ أَكثَر وَأَكثَر عَلَى بعضِنَا البعض نجوبُ كُلَّ مَكَانٍ مَعاً، وَلَنَا مَقعَدٌ تَعَوّدَ عَلَينَا وتعوّدنَا عَلَيه ، وَآه كَم أصبَحْتُ مُدمِنَ الكابتشينو لِأَنَّها تُحبهُ، (بَتُول) لَقَد أَصبَحَتْ كُلَّ حَيَاتِي ، حَيث لِلحُبّ قِصَّةٌ أُخرَى ، شَخصٌ يَنظُرُ فِي عَينَيك يعرف مَاذَا تُرِيدُ؟ وَيَشعُر بِك دُونَ أَنْ تَتَحَدّث ، وتستقي الحُبَّ وَالأَمَل وَالإِقدَامَ مِن عَينَيه .

رُغمَ أَنِّي أَعرِفُ الكَثِيرَ وَالكَثِيرَ مِن الأصدِقَاء تَظَلُّ عَينَاي لَا

تُرِيدَان أَنْ تُبصِرَا غَيرَهَا وَأذناي لَا تريدان أَنْ تسمَعا إلَّا صَوتَهَا   وَأَحيَانًا أَشعُرُ بِأَنَّ بَتُول تَشعُرُ بِالغِيرة مِن بَعضِ الصديقات ، فاختصرْتُهنَّ لِأجلِهَا . .

كَم هِيَ جَمِيلَةٌ تِلك الصِّدفَة الَّتِي جمعتني بِهَا

يَبدُو أَنِّي أَصبَحْتُ هَائِماً بِهَا حَتَّى الجُنُون وَالأجمَلُ فِي الحُبِّ أن يَتنَازَل الطَّرفَانِ عَن بَعضِ طِبَاعِهِم ، لِكَي تكُونَ هُنَاكَ سَاحَةٌ جَمِيلَةٌ لِلحُبِّ والتَّوَافق .

فَهِيَ كَانَتْ عنيدةً بِطَبعِهَا ، لَكِنَّهَا قَد تَغَيَّرَتْ لِأجلِي وَأَنَا كَذَلِكَ تَغَيَّرْتُ كَثِيراً لِأجلِهَا ،

التّضحِيَة . . شَرطٌ لَا غِنَى عَنهُ فِي الحُبِّ وَرُغمَ اختِلَاف بِيئَتنا وطائفتنا . . . لكِنَّنَا اجتَمَعْنَا فِي أَجمَلِ بِيئَةِ وَطَائِفَةِ أَلَّا وَهِيَ طَائِفَةُ الحُبِّ . وَقَد استثمرنا هَذَا الاختِلَافَ الَّذِي بَيِنَنَا فِي تكوِين عَالِمَنَا الجَمِيلِ الَّذِي فِيهِ بَعضٌ مَن عَادَاتنا وتقَالِيدنا المُختَلِفَة .)

وَأكمَل المَلِك قَائِلًا مُخَاطَباً أطياف القَصر

((يَا أَصدِقَائِي، كُنْتُ أَسعَدَ إنسَانٍ فِي القَصرِ وَفِي حَيَاتِي الأُخرَى . وَلِأَنِّي أَعرِف عَبَّرَ التَّجَارِبِ فِي الحَيَاة بِأَنَّه لَرُبَّمَا فِي يَومٍ مَا ستشتاقُ بَتُول أَنْ تَعِيشَ ضِمنَ طائفتها وَعَادَاتِهَا وَلِأَنِّي كُنتُ فِي سَكَرات الحُبّ لَم أُفَكِّر يَومًا فِي الوَاقِعِ بِشَكل جَدِّيٍ ،ولَم أَسأَلْ نَفسِي مَرَّةً: مَاذَا لَو لَم يُوَافِقْ أَهلُهَا عَلَى الزَّوَاج وَخَاصَّةً هُنَاكَ اختِلَافٌ فِي طائفتينا ؟

عَدَا ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَا مِن مَدِينَةٍ تَبعُد كَثِيراً عَن مدينتِها

أَنْ أُفَكِّرَ فِي هَذَا الأَمرِ يَجعَلُنِي متعباً ، وَلَكِن لَا بُدَّ أَنْ أتغلبَ عَلى فِكرةِ، أَنْ يَتَحَوَّلَ حُبِّي لَهَا إلى حُبِّ التَّمَلُّك ، فَالحُبُّ فِي أَصلِهِ أَخلَاقٌ فَإِنْ سَقَطَتْ مِنهُ الأَخلَاق سقط .

لِذَلك قَرَّرْتُ أن أعطِيهَا فُرصَةً لِأَنّ تُعيد التَّفكِيرَ فِي علاقتنا بِشَكل جَدِّي ، بَعِيدًا عَن أَحلَامنَا الوردية .

فَطَلَبْتُ مِنهَا أَنَّ تَسأَلَ أَهلهَا سُؤَالًا : عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ مَاذَا لَو تَقَدَّمَ لَهَا شَخصٌ مِن غَيرِ طَائِفَةٍ هَل سيوافقون ؟

فَقَبِلَتْ بذَلِك وَبَعدَهَا ذَهَبَتْ إِلَى البَيتِ ، وَفِي اليَومِ التَّالِي لَم تَأتِ، فَاتَّصَلْتُ أَطمَئِنُّ عَلَيهَا فَأَخبَرَتْنِي بِأَنَّهَا بِخَيرِ وَسَتَأتِي فِي الأَيَّامِ المُقبِلَة

مَا أسوَأ الانتِظَار فِي الحُبِّ ، وَخَاصَّةً عِندَمَا يَتَعَلَّقُ الأمرُ بِقَرَار هَل سنبقى مَعَاً وتتوج قِصَّة حُبِّنَا بالزواج أو سَوفَ أفقِدُهَا ؟ وَبَدَأت الأفكَار تَجُولُ فِي ذِهنِي مَاذَا لَو رَفَضَ أهلُهَا ؟

كَيف سأعيش مِن دُونِهَا ؟هَل أستَطِيع تَجَاوَز الأمر ، أم أنِّي سأدخل نَوبَةً مِن الأحزَانِ؟

وَبَعدَ مُرُورِ عِدَّة أيامِ . . . . حَيث السَّاعَةُ العاشِرَةُ التَقَيْنَا ، وَجهُهَا شَاحِبٌ ، وَتِلك الابتِسَامَةُ تَغَطَّت بِالحُزن . .

فَقُلْتُ لَهَا :(أخبرَينِي ، مَا حَدَثَ ؟)

فَقَالَتْ بِصَوت شَجنِ : (البَعض مُوَافِقٌ، وَالبَعضُ الآخَرَ لَا يقبَل)

وَالأهَمٌّ مِن ذَلِكَ ، كَانَ أَبَوهَا مَرِيضَ القَلبِ لَم يَتَقَبَّلِ الفِكرَةَ مِن أَصلِهَا، فَأَصبَحَتْ هِيَ بَينَ نارين ، تَبقَى مَعِي أو مَعَ أهلِهَا . . . وَجَدْتُ الحِيرَةَ فِي كَلَامِهَا وَعَينَيهَا ، وَاليَأسَ تملّك قَلبَهَا

فَقُلْتُ لَهَا : (لَا تحزَنِي ، أنَا مَعَك ، مَهمَا كَانَ قرارُك) ، رُغمَ أنِّي أعرِف بِأنَّنِي لَا أستَطِيعُ العَيش دُونَهَا ، فَهِي أنفاسي الَّتِي أتنفسها . . . عُدْتُ إلَى البَيتِ حَزِينًا، لَا أُرِيدُ أنْ أُحَدِّثَ أحَدَاً وَهَرَبَت إلَى القَصرِ ..... عِند البوّابة فِي نَفسِ المكَانِ الَّذِي كُنت أرجُو فِيه بِأَنْ لَا تَدخُلَ هَذَا القَصرَ ، أصبَحْتُ أُرِيدُهَا هُنَا ، لِأنَّها دَخَلَتِ القَصر أخَذَتْ قَلبِي ورحلَتْ ، وتركتني وَحِيداً بِلَا قَلبِ ، وَلَم يَتبقَ لِي سِوَى الذِّ كرَيَات الَّتِي كَانَتْ جَمِيلَةً، فَأَصبَحَتْ كُلّهَا آلَماً

وَحَزِناً، أَخَذَتْ كُلَّ شَيءٍ جَمِيلٍ أعشقُه ، أَصبَحْتُ أَشعُرُ بِوَحدَةٍ بِبَرِدٍ ، بِأَلَمٍ وَجَلَسْتُ أنتَظِر . . . وأَطَمئِنُ نفسي بِأَنَّهَا ستعود . . .))

الشَّوق

هُو السَّجنُ بِلَا جُدرَانٍ ، هُوَ المَوتُ فِي حَضرة الجَسَد وَالرّوح ، عِندَه فَقَط تَتَغَيَّر معايير الوَقت، ونظريةُ الزَّمَان ، عِندَه يَضِيق وسِعُ المَكَان ، هُو أَلَمٌ دُونَ أَنْ تَشتَكِي أَعضَاء الجَسَد وَبِه تُصبح الذِّكرَيَاتُ ذَات مَقَامٍ مُقَدَّس

وَالمُتَّهَم الأَوَّلُ وَالأَخِيرُ بهذا الحال هُوَ الفِرَاق فوَلَا عِلَاجَ لَهُ إلَّا اللِّقَاء

وَمَعَه تَبدَأ رِحلَةُ الشَّكّ وَاليَقِين ، هَل سَوف نَلتَقِي ثَانِيَةً، أَم أَنَّ الفِرَاق أَقَام مَقامه الأَخِير؟

هَل ستتذكَرني ؟ ! ، هَل سَتأْتِي ؟ ! وَلِمَاذَا لَا تَمضِي السَّاعَاتُ وَالأَيَّام ؟

يَا أَيُّهَا الرَّاحِلُ ... أَينَ أَنتَ الآنَ ؟

أَلَم يُخبِرْكَ قَلبُك عَن حَبِيبِك ؟ !

أَلَم تُخبِرْنِي بِأَنَّك ستبقى بِجَانِبَي مَهمَا حصل؟!

أَم أَنَّك قَتَلتَنِي فِي نَفسِك ودَفَنتنِي فِي مَقَابِرِ

النِّسيَان إنْ لَم يَكُنْ كَذَلِكَ . . . فَتَعَالَ قَبلَ أَنْ تَجدَنِي
طعين الهَوَى فَوق مَركَبِ الأوهام .

البَيت

المَلِكُ يَتَحَدَّث عَن غِيَابِهَا

((لَن اتَّصَلَ بِهَا ، لَن أتدخَّلَ فِي قَرَارِهَا ، أَوَدّ أَنْ تَعُودَ بِمِلء إرَادَتِهَا وَمِن كُلِّ قناعتها ...

نعم سأنتظر رُغمَ أَن الدَّقَائِق لَا تَمضِي . . رُغمَ أَنِّي مُتعبٌ عَلَى فِرَاقِهَا . . هَكَذَا كَانَتِ الأفكَار تَجُولُ فِي خَاطِرِي . . وَهَكَ ذَا بَدَأَت حَالَتِي تَسُوء، وَلِأَنِّي وَجَدْتُ أَلَماً فِي عُيُونِ أُسرَتِي وأصدقائي، حَاوَلْتُ أَنْ أُخفِي أحزَانِي وأَلمي، لَكِن لَا جَدوَى مِن ذَلِكَ فَقَرَرْتُ الرَحِيل إلَى مَكَانٍ آخَرَ ، أبتَعِدُ عَنهُم وَبِذَلِك أَستَطِيع إخفَاء مَا بِي ، دُونَ أَنْ تَفضَحنِي عينَاي أو جَسَدِي الهَزِيل . . .

مَرَّت أَيَّامٌ . . أَشهُرٌ .. وَلَم أعرِفْ شَيئاً عنها.

وَحِين وَجَدْتُ بِأَنَّنِي لَم أعُدْ التَّحَمُّلَ أكثَرَ ، حَاوَلْتُ الِاتِّصَال بِهَا . . . أَجَابَت : (أَهلًا)

وَبَعدَ السَّلَامِ وَبَعضِ الكَلَامِ ، شَعَرَتْ بشوقي لَهَا وَبِأَنِّي أبحَثُ عَن أَمَلٍ وَلَو كَانَ خداعاً

فقَالَتْ : (أَرجُو أَنْ تَجِدَ حَيَاةً سَعِيدَةً مِن دُونِي)

فَقُلتُ : (لَا حَيَاةَ لِي من دونك) .

فَقَالَتْ :(عَلِيّ، إنَّنِي خُطِبْتُ إِلَى شَخصٍ آخَرَ)

تَوَقَّف الزَّمَن حِينِهَا ، وَتكسَّر كُلُّ شَيءٍ أَمَامِي ، تَمَالَكتُ نَفسِي وَأَجَبْتُ بِكِبرِياءٍ زَائِفٍ :

(أَرجُو أَنْ تَكُونِي سَعِيدَةً) .

فَقَالَتْ : (هَل تَعِدُنِي بِأنَّك سَتَكُون بِخَير ، وَأن تَتزَوَّجَ فِي يَومٍ مَا) .

فَقُلْتُ : (إنْ كَانَ يُسعِدُكِ فَهُوَ كَذَلِكَ) .

وَمِن هُنَا دَخَلْتُ فِي حُمَىً شَدِيدَةٍ ، وَبَدَأت أنسَى الحَاضِر ، وَمَا يَدُورُ فِي حَيَاتِي اليَومِيَّة وَأتَذَكّر بِشِدَّةٍ أبسَط تفاصيلي مَعَهَا فِي المَاضِي ، ومَعَ اللَّيلِ تَأْتِي الكوابيسُ الَّتِي لَم أَستَطِعْ أَنْ أَشفَى مِنها ، حَيث أنِّي في كِلّ لَيلَةٍ أَحلمُ بأنِّي أبحَث عَنهَا وَكَأنَّ أَحَدَهُم يُخبرُنِي بِأَنَّهَا تَعِيشُ فِي هَذَا البَيتِ وَلَكِنّني لَا أَستَطِيعُ الوُصُولِ إلَيهَا .

أو أحلمُ بِأَنِّي أرَاهَا فِي الجَامِعَةِ، فَاذهَبُ إلَيهَا أُنَادِي اسمَهَا حَتَّى ينبحّ صوتي ، وَلَا تَلتَفِت إلَيّ حَتَّى تَدخُلَ فِي الغياب، فأستَيقَظ مِن شِدَّةِ الأَلَمِ .

ثُمَّ أصبَحْتُ أخَافُ مِن النوم . . . لِأنَّني لَم أتَحَمَّلْ فِرَاقَهَا ، وَتَحَوَّل ذَلِك الفِرَاق إلَى وَجَعٍ يَتكَرَّرُ كُلَّ يَومٍ ، يَبدَأ فِي بَحثِي عَنهَا ، وَيَنتَهِي بِألَمٍ يُعَمِّق جِرَاحِيِّ . . وَمَرّت الشُّهور.. أذهَبُ إلَى ذَاكَ المكَانِ فِي القَصرِ حَيثُ كنّا نَجلِس معاً ، عَلَّنِي أجِدُ بَعض كَلِمَاتِهَا الّتِي لَم تَتَلَاشَ مَعَ الرِّيحِ، وعلّني أجِدُ طِيفهَا ، فَأسأله: فيُجِيبنِي عَنهَا ، فَتهدأ نَفسِي وَعلّه يَعتَذِرُ لِغيَابِهَا الطَّوِيل لَكِن دُونَ جدوى .

يَبدُو أنَّ الحُزنَ وَالكَآبَةَ قَد تَمَكَّنَتْ مِنِّي فَأصبَحْتُ ضَعِيفاً، غَير قَادِرٍ عَلَى النِّسيَان

فَأنَا الَّذِي كُنْتُ أخبِرُ الأصدِقَاء كَيف لِشَخصٍ أنْ يَتَجَاوَزَ أصعَب المَوَاقِف ، عَجزتُ عَن عِلَاج نَفسِي، وَكُلُّ مَا أفعَلَهُ هُو التَّظَاهُر بِأنِّي بِخَيرٍ وَلَكِنِّي مَا كُنْتُ بِخَيرٍ مُنذ رَحِيلِهَ)).

انسَ اليَومَ قَبلَ أنْ يَنسَاك الزَّمَان

كَثِيرٌ مِن يُرِيدُ أَنْ يبحرَ فِي بَحرِ النِّسيَان

لِيَنسَى ذَاك الشَّاطِئَ الَّذِي تَحَطَّم قَلبُهُ عَليهِ وَلَكِن هُنَاكَ مَن يَقُولُ سفِينتي لَا تَرضَى أَنْ تُبحِّرَ رُغمَ أَنِّي حَاولَت كَثِيراً كَثِيراَ ، وَيَبقَى مُكُوثِي إِلَى جَانبِ الشَّاطِئ يُعَذِّبُنِي .

كَيف لَك أَنْ تَنسَى ؟! وَأَنت تَضَع لسفِينتك أَكثَرَ مِن مرساةٍ ، تُسَمِّي أَبنَاء أَقَارِبك عَلَى اسمِ المَحبُوب السَّابِق، وَتَدَّعِي بَعدَها النِّسيَان ، فَكُلَّمَا نَادَوا الِاسم تَأَلَّمْتَ بِذَلِك ،وتحتفظ بِكُلِّ الأَشيَاءِ الَّتِي تَربِطُك بالعَلَاقَة السَّابِقَةِ عَلَى أَنَّهَا مُقَدَّسَ ةَ، وَبَعدَهَا تَتَعَجَّب لِمَاذَا لَم تَنْس ؟ وَلَرُبَّمَا مِن أَحبَبْتَهُ نَسِيَ حَتَّى اسمُك ، أَو تَرَاهُ يَعِيش حَيَاتَه بِشَكلِ

طَبِيعِيٍّ وَكَأَنَّك لَم تكُن يَومًا فِي حَيَاتِهِ، وَأَنتَ لَا تَعِيشُ إلَّا الوَهم لِذَلِكَ مَن كَانَ جَاداً كَي يَنسَى ، تَجِدهُ نَسَف المَاضِي كُلَّه وَبَدَأ يُجَهِّز مَركِبَه لِرِحلَةٍ جَدِيدَةٍ بِاتّجاه الحَاضِر .

وَكَمَا يَقُولُ الشّاعِرُ إِبرَاهِيم ناجي :

مَا احتفاظي بعهودِ لَم تصنها وإلام الأسر وَالدُّنيَا لديَّ

فَيَختَلِف زَمَن المغادرين مِن الشَّوَاطِئ الَّتِي أَرَادُوا أَنْ ينسوها ، فَهُنَاكَ مَن يَحتَاجُ إلَى أَشهُرٍ، وَالبَعض إلى سَنَوَاتٍ، ليستطيعَ أن يُبحِرَ أَمَّا الَّذِي يَدخُلُ نَوبَةَ الأَحزَان لَا يُبحِرُ أبداً .

فَكُلُّ مَا عَلَيكَ فِعلهُ أَنْ تَسحَبَ المِرسَاة الَّتِي تُثبِّتُ سفينتك ، وَاَلَّتِي لَا تُسحَب أَقطَعَهَا

وَلَا تَنسَ الدَّرس الَّذِي تعلمْتَهُ مِن هَذِهِ الرحلةِ

كَي تَصِلَ إلَى بَرِّ الحُبّ الهَادِئ الجَمِيل

واجعَل هَذَا الحُبّ السَّابِقَ الَّذِي لَم يكلَّلْ بِالزَّوَاج إلَى وَقفة تَبدَأ مِنهَا رِحلَهَ نَجَاحِ يَحُوِّلُ الحُزنَ والأَلَمَ إلَى حُبٍّ وتفانٍ وإخلَاصٍ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ صَدرُكَ مَقبَرَةً لِأَسرَار حُبِّك السَّابِق ، لِأَنّ الأخلَاقَ فِي الحُبِّ تُوجِب عَلَيك فِعلُ ذَلِكَ .

القَصر

المَلكُ :(وَمن بَعدِهَا يَا أَصدِقَائِي، مَكَثْتُ فِي جَنَاحَي فِي القَصرِ ، وَلَم اجتَمَع بِكُم . . لِأَنَّنِي قَد أَصبَحْتُ مَرِيضاً ، متعباً ، وَكُلَّمَا نَظَرْتُ مِن شُرفَةِ القَصر وَجَدْتُهَا فِيه ، مَا عُدّتُ أَستَطِيعُ أَنْ أُفَرِّقَ بينَ الحَاضِرِ والمَاضِي ، أَصبَحَتْ عَينَاي لَا تتقبَل غِيَابَهَا ، وَكُلَّمَا أَردتُ أَنْ أَتَذكر شَيئاً لِكَي أَبَدَأ بِه من جَدِيدٍ ، أَجِدُهَا فِيه . . وَلَرُبَّمَا كُلَّمَا تَدَفَّق سيل النِّسيَان لِيَمحُو صُورَتَهَا مِن خَيَالِي ، تَرَانِي أُرَمِّمُ أَجزَاء صُورَتِهَا فِي دَاخِلِيّ بِلَا شعور) .

فَقَالَ أَحَدُ الحَاضِرِينَ وَيُدعَى قُتَيبَة : (وَلَمَّا لَم تُحَاوِل أَنْ تَبحَثَ عَنهَا ؟).

المَلِكُ : (بَحَثْتُ عَنهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَجَدْتُ كُلَّ الأمكِنَة وَلَم أَجِدْها ، فَفِي وَطَنِي جَاءَتْ حَربٌ، فَرَّقَتِ الأحبَاب، وَالأَصدِقَاء، وَالنَّاس وَظَهَرَتِ الطَّائِفيّةُ بشَكلِهَا الأعمَق ، وَخَيَّمَ الحُزنُ والألَمُ وَالجِرَاحُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، حَتَّى أَصبَحَ مِن المُستَحِيلِ أَنْ تَجِدَ شَخصًا بَين الرّكَام

فَزَادَت الحَرب جُرحًا إِلَى جُرحِي ، وَعَمَّقت آلاميّ .

فَحِين صحوتُ بَعدَ ستِّ سِنِينَ ، كَأَنِّي كُنْتُ فِي غَيبُوبَةٍ ، حَيث تَغَيَّرَتِ الوُجُوهُ مِن حَولِي وَأَصبَحَتِ اللُّغَةُ لَيسَتْ بلغتي ، وَالمَكَانُ لَيسَ بِمَكَانِي ، وَلَم يَعُدْ لِي وطنٌ أَعُود إليه ، وَبِذَلِك أصبَحْتُ ضَعِيفَ الفِكر وَالجَسَد ، وَفَقَدْتُ مَا فَقَدْتُ مِن الأحبَاب وَالأَصدِقَاء ، فَلَم تكُنْ صحوتي إلَّا صَحوِة مَرِيضٍ فِي آخِرِ عهده) .

أَحَدُ الأعضَاء : (وَلَمَّا لَم تُحَاوِل أَنْ تَجِدَ حُبًّا جَدِيدًا يُنسِيك المَاضِي ، وَيُخَفِّف عَنك مَا أنتَ بِهِ)

المَلك :(حِين تَبحَثُ بَين الوُجُوهِ عَن وَجهِ يُشبِه حَبِيبتك...

لَرُبَّمَا تَجِد مِثل وَجهِهَا ، لَكِن لَن تَجِدَ أَبَدًا مِثل رُوحِهَا....

فسَرَقَتني السِّنين وَضَاع عُمرِي فِي حُبِّهَا وَلَا زَالَ ذَاك الشَّخصُ فِي دَاخِلِيّ يَأبَى نِسيَانَهَا ، كَطِفلٍ فَقَدَ أُمَّهُ وَأَخبَرُوه بِأَنَّهَا سَتعود . . . وَفِي يَومٍ مَا سَتَضُمّه وتَعَوّضه حَنَانًا طَالَمَا اشتَاقه ..... وَلَكِن لم تَعُدْ أَمَه، وَلَم يَكُفَ ذَاك الطِّفلُ عَن السّؤَالِ عنها.

فَعَلِمت مُتَأَخِّرًا، يَا أَصدِقَائِي ، بِأَنَّهُ لَن تَكُونَ هُنَاكَ بِدَايَةٌ جَدِيدَةٌ قَبلَ أَنْ أتحرَّر مِن هَذَا المَاضِيَ ،الَّذِي أَصبَحَ بِكُلّ تَفَاصِيلِه الجَمِيلَة أَلَماً وَعَذَاباً لَا يَنتَهِي .

وَمَا عُدُّتُ أُحِبّ فَصلَ الرَّبِيع ، لِأَنَّه يُذكِّرنِي بِشِدَّةِ بِقِصَّة حُبِّنَا ، فَفِيه وُلِدنَا ، وَفِيه كَان حُبُّنَا ، وَفِيه افتَرَقنَا ، لَا أَنسَى أَبَدًا أَوَّلُ مَرَّةٍ سَافَرتُ عنها ، فَقَد بَكَتْ ، رُغمَ أَني أَخبَرْتُهَا سَوف أَعُود بَعد فَترَةٍ قَصِيرَةٍ ، شَعَرْتُ حِينِهَا بِحُزنِ شَدِيد .

يا لَيتَنِي لَم أفارقْها يَومًا وَلَا سَاعَةً وَيا ليت عَينَاي لِأجل أن أَرَاهَا لا ترمُشان أبداً، وَلَكِن مَا فَائدَةُ التَّمَنِّي ، وَهَأنذا أَعِيشُ وَحِيدًا بِدُونِهَا لَم يَعُدْ لِي رَغبَةٌ، بِأَن أستيقظَ وَأبصَر وَاقِعًا لَا يَحتَوِيها

وَعِندَمَا كُنتُ أَرَى أَطفَالًا ، أَشعُرُ بِأَروَاحِهِم تَعطِف

على رُوحِي الحَزِينَة ، فَكَأَنَّهُم عَرَفُوا مَا بِي ، فَتَذهَب أَروَاحُهُم تُخبِر رُوحِي بِأَنْ تَكُونَ قَوِيَّةً لاِجتِيَاز هَذَا المَوقِفُ الصَّعب.

فَلِذَلِك يَا أَصدِقَائِي، أَنتُم أَمَلِي الوَحِيد لِلنَّجَاةِ مِن هَذَا المَرَضِ، وَأَعرف بِأَن لَدَيِّكُم قُدُراتٍ كثيرةً).

فَقَالَ الحَكِيمٌ :(سَوف نُحَاوِل بِكُلِّ قدراتنا عَلَى مُساعَدَتِك يَا سَيِّدِي) .

فَذَهَب المَلِكُ يَمشِي فِي حَدِيقَةِ القَصرِ، الَّتِي تَخطِفُ الأَ بصَارَ لِجَمَالِهَا، وَلَكِن رُغمَ كُلِّ هَذَا الجَمَالِ، لَم يَجِدْ

حَيَاةً فِيهَا ! !

انتَقَلَ إلَى قِسمِ المكتَبَة، وَعِندَمَا جلَس لِيَقرَأ شَيئًا مَا، تَذَكَّرَهَا وَهِي تَجلِسُ بِجَانِبِه، تُشَارِكُه القِرَاءَة

أصبَحَ كُلُّ شَيءٍ ألماً له ، ذَهَبَ إلَى المَكَانِ الَّذِي زَرعَا فِيهِ شَجَرَةَ الحُبِّ ، فَوَجَدَهَا تَعِيشُ فِي خَرِيفٍ دائمٍ.

يَخرُجُ مِن القَصرِ يُحَاوِل أنْ يَصنَعَ شَيئاً جَدِيداً فِي حَيَاتِهِ الأُخرَى كَي يَنسَاهَا ، لَكِن لَم يَستَطِعْ، لِأنّ الذِّكرَيَات لَا تَزَالُ تَعِيشُ فِي ذِهنِهِ وَقَد تَمَكَّنَتْ مِنهُ كَثِيراً.

وَيَبدو أنَّهُ لَن تَكُونَ هُنَاكَ بِدَايَةٌ جَدِيدَةٌ ، قَبلَ أنْ يَنتَهِيَ المَاضِي كَمَا قَالَ المَلِك .

اجتِمَاع القَصر :

فَذَهَب أعضَاء القَصر يُجَهِّزُون لاجتماعِ يَبحَثُون عن حُلُول تُسَاعِد المَلِكَ عَلَى اجتِيَازِ هَذَا المَوقِفِ الصَّعب .

اجتَمَع أعضَاء القَصر بِرِئاسَة الحكيم ، لِتَنَاوُلِ مَا قَالَهُ المَلِك، وتَحلِيلِ مَا جَرَى مَعَهُ .

وَبَعد تَدَاوَل الحَدِيث بينهم

قَالَ الطَّبِيبُ إبرَاهِيم :(مِن خِلَالِ الحَالَة المَرضِيَّة النَّفسِيّة الَّتِي يُعَانِي مِنهَا المَلِكُ فَهُوَ يُعَانِي مَرَض حُمَّى الحُبِّ) .

فَقَالَ الحَكِيمٌ لِإبرَاهِيم :(وَكَيفَ يَكُونُ العِلَاج لِهَذَا المَرَض؟)

قَالَ إبرَاهِيمُ: (لَيسَ هُنَاكَ عِلَاجٌ سِوَى أَنَّ نَعُودَ بِهِ إلَى المَاضِي ، وَيَطلُبَ مِن بَتُولَ الفِرَاق بِذَلِك سَوف تَتَغَيَّر حَالَتُه النَّفسِيّة ويَستَطِيع نِسيَانَهَا) .

لَكِن بدا أَحَدُهُم مُعَارِضاً ، حَتَّى نَهَضَ فَكَان هذا الشَّخص قُتَيبَة ووَجه الحَدِيث لِرَئِيس الجِلسَة وَقَالَ سَيِّدِي الرئِيس:

قَبلَ أَنْ نساعد المَلِك بِالشِّفَاء مِن هَذَا المَرَض

إنِّي وَمَن مَكَانِي هَذَا اَتَّهِمُ بَتُول بِالخِيَانَة ، فَضَجّ المَجلِس لِهَذَا الاتِّهَام

فَأَجَاب الحَكِيمُ :(وَمَا هُوَ دليلك ؟)

قَالَ قُتَيبَةُ :(سَيِّدِي لَو كَانَتْ بَتُول كَمَا قَالَ عَنهَا المَلِك بِتلك البَرَاءَة والطِّيبَة ، لحاولَتْ وَلَو مَرّةً أن تَطمَئِنّ عَن

حَالِه ، وَكَمَا أنَّ فِرَاقَهم كَانَ قَائِمَاً عَلَى التَّرَاضِي ، فَهُنَاك سِتٌّ سِنِينَ مَضَتْ وَلَم تُحَاوِل وَلَو لمرةٍ أن تَطمَئِنّ عَن حَالِه)

قَالَ الحَكِيمٌ :(لَكِن هُوَ بَحَثَ عَنهَا وَلَم يَجِدْهَا فَكَيف لَهَا أنْ تَجِدَهُ ؟) .

قَالَ قُتَيبَةٌ :(ألَيس هُنَاك احتِمَالٌ بِأنَّهَا هِيَ لَا تُرِيدُ الاتِّصَال مَعَه ، وتُحَاوِل الهُرُوب مِنه ؟)

فَقَالَ الحَكِيمُ :(مُعَارَضَةٌ مَقبُولَةٌ، وَفِيهَا شيءٌ مِن المَنطِقِ لِذَلك يُستجوب المَلِكُ فِي حَادِثَة الخِيَانَة، وَسَوف يَخضَع المَلِك لقَوَانِين المَملَكَة، إنْ كَانَ لَهُ يَدٌ فِي التَّسَتُّرِ عَلَى خِيَانَة بَتُول) .

فَانتَشَر الخَبَرَ فِي القَصرِ كانتِشَار النَّارِ فِي الهَشِيم، حَتَّى وَصَلَ الخَبَر لِلمِلك الَّذِي بَدَا حَزِيناً كَئِيباً لِهَذه المُعَارَضَة .

اجتِمَاع استِجوَابٌ المَلِك :

اجتَمَع المَلِكُ مَعَ أعضَاء القَصر مَرَّةً أخرَى وَلَكِن هَذِهِ المَرَّةَ فِي محكَمَة القَصر وَالمَلِكُ هُوَ المُتَّهَم فَطَلَب الحَكِيم مِن المَلِكِ التَّبرِير وَالحُجَّة بِأنّ بَتُول لَيسَت خَائِنةً كَمَا ادَّعَى قتيبة .

فَقَالَ المَلِكُ : (لا أعرَفُ مَا هِيَ ظُرُوفهَا ؟ لَا أعرِفُ مَا هُوَ حالها ؟

وَلَكِن أعرِف بَتُول جَيِّدَاً ، لَا يُمكِنُ أن تَخوّن وَلَرُبَّمَا اعتقدتْ حِينَ تكُونُ بَعِيدَةً عَنِّي سَأكُون بِخَير ، أو رُبَّمَا لَا تُرِيدُ أَنْ تَرَانِي ضَعِيفًا)

قُتَيبَة

:(سَيِّدِي المَلِك، لا تبنى المَمَالِك عَلَى ربما) .

المَلِك : (لَيتَهَا كَانَتْ خَائِنَةً ، لَشَعَرْتُ بِالأَلَم أيّاماً، شُهُوراً ثُمّ أشبعْتُ نَفسِي مِن كُرهِهَا ونسيْتُها ، وَلَكِن لَم تَكُنْ كَذَلِكَ ، وَلَن أقبَلَ بِأن أقنِعَ نَفسِي بِذَلِكَ لِأجلِ نَفسِي ، لِأنَّهَا سَتَكُون خِيَانَةً مِنِّي لِصُورَتِهَا الجَمِيلَة البَريئة فِي ذَاتِي)

فانتَهَتْ الجِلسَة بِإعلَانِ مِن الحَكِيم بِبَرَاءَة بتول..

ثُمّ غَادِر المَلِك المَجلِس إلَى جَنَاحِهِ الخَاصّ .

وَبَعد عِدَّة أيَّامٍ جَاءَهُ كَبِيرُ الأَطِبَّاء يَزِفُّ لَهُ خَبَراً عَن رَحلِةِ عِلَاجٍ تُنقِذُهُ مِمَّا هُوَ فِيه.

اجتَمَع المَلِكُ مَعَ الأَطِبَّاء وَبَدَأ كَبِيرُ الأَطِبَّاء (إِبرَاهِيم) يُخبِرُه عَن فَكَرِةِ العِلَاج :

قَال إِبرَاهِيم : (سَيِّدِي المَلِك سَوف تَنَامُ ونُعيدكَ عَبَّر تَجرِبَةٍ إلَى المَاضِي ، وَلَكِنَّك سَوف لَن تُفَرِّقَ بَينَ المَاضِي وَالحَاضِر وستشعر بِأَنَّ هَذَا المَاضِيَ هُوَ حاضِرٌ ووَاقِعٌ تعيشه، وَلَكِنَّه يَتَوَجَّب عَلَيكَ أَنْ تُخبِرَ بَتُول بِأَنَّه سَوف تَفتَرِقَان لِأسبَاب خَاصَّة بِك ، وَإِذَا حَدَّثَ هَذَا ، سَوف تَعُود هُنَا ، وَكَأَنَّهَا لَم تكُن فِي حَيَاتِك ، وَبِذَلِك تَستَطِيعُ أَنْ تَبدَأ حَيَاتِك مِن جَدِيدٍ)

المَلِك: (وَأَخِيراً سَوف التَّقِيّ بَتُول وَلَو حلماً)

الطَّبِيب إِبرَاهِيم :(سَيِّدِي، إنْ المَاضِيَ كُلُّه سَرَابٌ ، وَحَاوَل

عَبَّر هَذِه التَّجرِبَة أَن تَتَحَرَّر مِنه ، فَإِنْ لَم تَنَجَّح، سَوف تَبقَى هُنَاك لِلأَبَد وَتَذَكَّر دَائِمًا هُنَاكَ مَن يَستَحِقُّونَ أَنْ تَعِيشَ لِأَجلِهِم) وَبَدَأ التحضير لِعَودِة المَلِك لِرِحلَة إِلَى المَاضِي

(العَودَة الأولَى إلَى المَاضِي)

يَستَيقِظُ المَلِكُ فِي المَاضِي ، يَومَ السَّبتِ السَّاعَة التَّاسِعَة ، وَتَذَكَّر بِأنّ لَدَيه موعِداً مَع بَتُول فِي السَّاعَةِ العاشِرَةِ ، فَقَام يَتَجَهَّزُ للقائها ، وَعِندَمَا وَصَل إلَى الجَامِعَة ، جَلَسَ عَلَى المَقعَد فِي القِسمِ الغَربِيِّ مِنَ باحَة الجَامِعَة ، يَنتَظِر وُصُول بَتُول ، نَعَم . . . هَذِهِ هِيَ .. تُقبِلُ إلَيه وَبَعد التَّرحِيب بَدَأ الشَّغَفُ فِي عَينَيه، وَكَأنَّه أوَّل مَرَّةٍ يَرَاهَا، استَغرَبَتْ بَتُول للشغف الَّذِي فِي دَاخِلِه ، وَقَالَتْ لَهُ : (أجِدُك اليَوم وَكَأنَّك أوَّل مَرَّةٍ تَرَانِي ، رُغمَ أنَّنا فِي كُلِّ يَومِ نَلتَقِي)

فَقَالَ عَلِيّ : (لَا أعلَمُ لَكن أشعَر بِأنِّي لَم أرَك مُنذُ سنِينَ). وَذَهَبَا يتجولان فِي أرجَاء الجَامِعَة ، والتقيا مَع صَدِيقِهِمَا أحمَد وَأختَهَا قَمَرالشام .

وَتَبَادَلُوا الحَدِيث ، والضحكاتِ المفعمة بِالحُبّ وَالحَيَاة ، فَطَلَب أحمَدُ مِن عَلِيٍّ أَنْ يلقي خاطرةً عَن الحُبَ ، فَنَظَرَ عَلِيّ إِلَى بَتُول وَهُمَا فِي نَشوُه الحُبَ وَقَالَ :

لَا تتركيني

نَائِماً عَلَى وِسَادَة الحُبّ

مُسَافِراً عَلَى أمواج الغَرَام

اِهتَزّ المرَكَّبُ فَجأةً. . . تتركيني ؟!

لَا تتركيني تَحت رَحِمَةِ الشَّوق

فَالشَّوقُ سِجنٌ بِلَا جُدرَان

وَالمَوت يُراودُني بمَغِيبكِ

يُدخِلُنِي بَحراً . . وَلَا إبحَارٌ يتحَدَّى التَّيار

كَونِي مَرَّةً بِجَانِبَي . . وأخبِرِنِي ألحَاناً .

أمُوت . . . أحيَا ... عَلَى عَهدِكَ

فَأنت المُنَى . . . وَأنت الأَمَان

وَعِند المَساءِ كَما هِيَ العَادَةُ ، تَوجَّبَ عَلَى عَلِيٍّ أَنْ يُوَصِّلَهَا إلَى بَيتِهَا ، فصعدا إلَى الحافِلَة وَحِين وَصَلَا إلَى الحَيِّ الَّذِي تقطن فِيه بَتُول أرَاد عَلِيّ العَودَةَ إلَى بيتِهِ فَانتَبَه أنَّهُ قَد فُقِدَ نُقُودِه فابتسمَتْ بَتُولُ وَأعطَته خَمسَاً وعشرين لِيرَةً كَي يَعُودُ إلَى المَنزِلِ ، فَصَعدَ إلَى الحافلَة فَمَدَّ يَدَهُ إلَى جَيبِه لِيَ خرُج النُّقُود ، فَإذ بِه يَجِد نُقُوده فِي جَيبِهِ الخلفي ، فاحتفظ بِالخَمسِ وَالعِشرين لِيرَةً ذِكرَى

مِن حبيبته بَتُول وَعِندَمَا استَيقَظ المَلِكُ فِي قَصرِهِ فَإِذَا الأَطِبَّاءِ مِن حَولِهِ وَبِيَدِه خَمسٌ وَعِشرُونَ لِيرَةً الَّتي أَعطَتْه إِيَّ اهَا بَتُول، فَقَامَ يُحَدِّثُهُم بِمَا حَدَثَ مَعَه وَبِأَنَّهُ لَم يَستَطِعْ أَنْ يُفَرِّقَ بِأَنَّهُ مَاضِي ، وَأَخبَرَهُم بِأَنَّهُ لَم يُخبِرْ بَتُول عَن الاِنفِصَالِ .

فَقَال كَبِيرُ الأَطِبَّاء :(نَحنُ نَعلَمُ بِأَنَّهُ لَن تَستَطِيعَ التَّفرِيقَ فِي المَرَّةِ الأُولَى بَينَ المَاضِي وَالحَاضِر ، وَلِذَلِك سَوف

نُعيدك مَرَّةً أُخرَى بِنَفس المَكَانِ وَالزَّمَانِ لِكَي

تَتَذَكَّر بِأَنَّه يَتَوَجَّب عَلَيك إِخبَارَهَا عَن الاِنفِصَالِ)

العَودَة الثَّانِيَةُ إلَى المَاضِي

يَستَيقِظ المَلِكُ فِي المَاضِي ، مُتَذَكِّرًا كَلَام الأَطِبَّاء وَقد عَرِف مَا يَتَوَجَّبُ عَلَيهِ فِعلهُ فَيَذهَبُ إلَى الجَامِعَةِ ، مُنتَظِرًا قُدُوم بَتُول

وَبَعد التَّرحِيب فِي هَذِهِ المَرَّةِ غَلَب الحُزنُ مَلامِح عَلِيّ

فَقَالَتْ بَتُول : (حَبِيبِي هَل أنتَ عَلَى مَا يُرام؟)

فَقَالَ عَلِيّ : (لَا عَلَيك حبيبتي أَنا بِخَيرِ) .

فَقَالَتْ لَه : (دَعنَا نَذهَب إلَى المكتَبَة ، أَنَا بِحَاجَة إلى بَعض الكُتُب) .

فَقَالَ لَهَا : (لَيس الآن ، فَهُنَاك شَيءٌ يَجِبُ أَنْ أُخبِرَك بِهِ)

. فَذَهَبَا إِلَى ا لمَقعَد الَّذِي التقَيَا فِيه أوّلَ مَرَّةٍ، وَبَدَا عَلِيّ مُرتَبِكاً حَائِراً ، لَا يَعرِفُ كَيفَ يَبدَأ ؟!

فَقَالَتْ لَهُ : (تَحدَث لقد أَصبَحْتُ قلقةً) .

فَقَالَ لَهَا : (حبيبتي ، دَعِينَا نفكر بِشَكلٍ جدِّيٍّ فِي قصتنا ، أنت تَعلَمِين أَنَّنَا مِن بَيئَتَين وطائفتين مُختَلِفَتين ، فَأَخَافُ أَنْ يَقِفَ أهلُك ضدنا ، وَأخشى بأَنَّ لَا تَنتَهِي قصتنا بِالزَّوَاج وَعَلَيك أَن تَجِدِي شَخصاً مِن نَفسِ البِيئَة الَّتِي تعيشين فِيهَا ،وَنَفس المَدِينَة لِأَنَّهُ رُبَّمَا فِي يَومٍ مَا لَن تَستَطِيعِي تَحمل البُعدِ عَن عائلتك أو لَرُبَّمَا لَن تتأقلمي مَع عالمي) .

فَقَالَتْ لَهُ : (هَل أنتَ تُرِيدُ ذَلِكَ؟) .

فَقَالَ لَهَا : (لَو كَانَ الأمرُ عِندِي، لَا أُرِيدُ امرَأَةً غَيرَك) .

فَقَالَتْ لَهُ : (إِذاً لِمَاذَا تَستَعجِل الأ مر ؟ لَرَبّمَا نَكُون مَعاً ، لَا تَشغَل بَالَك) .

وَلِأَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يُخبِرهَا بِأَنَّه قَادِمٌ مِنَ المُستَقبَلِ بَدَأَ يُلِحّ عَلَيهَا، فَقَالَ عَلِيّ : (أَرجُوك يَجِبُ أَنْ ننفصلَ ، وَلَكِن عِدِيني أنك ستكونين بِخَيرٍ ، أَمَّا أَنَا فانسيني إِلَى الأَبَدِ ، لِأَنَّنِي سَوف أَخْرُجُ مِن حَيَاتك ، لَيسَ الأمرُ بيدي) كَلَامُهُ المُبهَم جَعَل بَتُول فِي حَالَةِ يَأْسٍ وَخَوفٍ وَبَدَأَتْ تراودُها أفكَارٌ بِأَنَّ حبيبها عَلِيّ مَرِيضٌ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يُخبِرهَا

فَانفَجَرَتْ بكاءاً وَرَاحَتْ تَقُول :(حَبِيبي أَخبَرَنِي هَل أَنتَ بِخَيرٍ ؟ ! . . . هَل أَنتَ مَرِيضٌ ؟ ! ... أَين عُهُود حُبّنَا ..

أَلَم تُخبِرْنِي بِأَنَّك لَن تتخَلَّى عَنِّي ؟.....)

لَم يَستَطِعْ أَنْ يَتَحَمَّلَ حُزنَهَا وبكاءها

فَقَالَ لَهَا : (لَا عَلَيك أَذا بِخَيرِ ، وَلَن أَتَخَلَّى عَنك مَهمَا حَدَث . . فَقَط كُنْتُ أمزَحُ ...)

وَعِندَمَا بَدَأَتْ تتّنهد مِن البُكَاءِ، قَالَتْ :(عَلِيّ أرجُوك لَا تَفعَلُهَا مَرَّةً أُخرَى)

فبَدَأ عَلِيّ مُحَاوِلاً أن يُعِيد الابتِسَامَة إلَيهَا

فتسللَتْ ابتِسَامَةٌ رُغمَ الدُّمُوع إلَى وَجهِهَا ، فَقَام كُلًّا العَاشِقَين يُكمِلَان يَومهُما ، وَلَم تَترك يَدهَا يَدَاه ، وَكَأن خَوفَاً فِي دَاخِلِهَا بِأنّها ستَفَقّدُه

وَمِن ثَمَّ التَقَيَا أحمَد وَأُختَهَا قَمَرالشام ، وَعِند المَسَاء صَعدَا إلَى الحافِلَة لِيُوصِلَهَا إلَى بَيتِهَا وَعِندَمَا عَادَ مِن المَاضِي ، استَيقَظ فِي القَصرِ فَوَجَد أَطِبَّاء القَصر حَولَه يَسألُونَه مَا حَدَثَ؟ بِكُلّ شَغَفِ وَهَل نَجَحَتِ المُهِمَّةُ أَم

لَا؟

بَدَأ يُخبِرُهُم بِمَا حَدَثَ ، وَأَنَّهُ لَم يَستَطِعْ احتِمَالَ مَشهَدِ دُمُوعِهَا وَبِأنَّه أخفَق مَرَّةً أُخرَى ، لَكِنَّ هَذِهِ المَرَّةَ زَادَتْ مِن أَلَمِ المَلِك وَجَعَلتَهُ فِي حَالَةِ أَسوأ.

ها هو المَلِكُ يَمُوتُ أمَامَ رَعِيَّتِه ، عَاجِزاً عَن تَجَاوَز هَذَا الأمرِ

وَالكُلُّ لَا يَستَطِيعُونَ فِعلَ شَيءٍ لِأجلِه ، بَل خَيَّم الحُزنُ والألَمُ فِي كُلِّ مَكَان مِن القَصرِ ، اجتَمَع أعضَاء القَصر أمَامَ هَذَا الظَّرفِ الصَّعب

وَقَال مُستَشار القَصر الحكيم : (لَرُبَّمَا نَحتَاجُ إلَى تَضحِيَةٍ أكبَر ، لِيَعُودَ المَلِكُ إلَى وَعيِه ويشفى مِن هَذِهِ الحُمَّى ، فَنَحن أمامَ خَيارَين : الأَوَّل أَنَّ تَعُودَ بَتُول بِالتَّوَاصُلِ مَعَه ،

حَتَّى تُخبِرَهُ بِأَنَّ الحَيَاة تَستَمِرّ وَلاَ تَقفُ عِندَ أَحَدٍ فَهُنَاك حُبٌّ وسعادةٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَهَذَا الخِيَارُ صَعبٌ لِإِنَّنَا لاَ نَستَطِيعُ أَنْ نَصِلَ إِلَيهَا فَنَحن نَعيشُ هُنَا وَلَا نَستَطِيعُ الخُرُوجَ مِن هَذَا القَصرِ

أَمَّا الخِيَارُ الثَّانِي فَهُوَ أَنْ نُضَحِّيَ بِالقَصر وبأنفسنا كَيَ يَعُودَ المَلِكُ إِلَى طَبِيعَتَه)

سَأَل أَحَدُهُم :(كَيفَ ذَلِكَ ؟)

أَجَاب المُستَشَار حكيم :(أَنْ نَكُونَ نَحنُ وَالقَصر رِهَانٌ لِنَجَاح المَلِكِ ، وَذَلِكَ مِن خِلَالِ عَودةٍ أَخِيرَةٍ إِلَى المَاضِي، وَلَكِنَّ هَذِهِ العَودَةَ سَتَكُون قَبل التَّعَرُّفِ عَلَى بَتُول بِدَقَائِق ، وَهُو سَوف يَختَار إِمَّا أَنْ يُحَاوِلَ التَّعَرُّفَ عَلَيهَا وَالتَّعَلُّق بِهَا مِن جَدِيد وَبِذَلك سَوف يتدمرُ القَصر ونرحلُ إِلَى المَجهُولِ، أَو يَتَجَاهَلُهَا فَيَعُودَ مِن المَاضِي خَالِي

الذِّهنِ، ونستمر فِي الحَيَاةِ معه فِي بَعضِ الظّرُوفِ الصَّعبَةِ نَحتَاجُ إلَى قَرَارَاتٍ صَعبَ ةٍ ، يَا أَصدِقَائِي لَن نتخلى عَن المَلِكِ أَبَدًا فَنَحن وَهُوَ جُزءٌ لَا يتجزأ)

فَأَجَاب أعضَاء القَصر: (إنْ كَانَ هَذَا يُسَاعِد المَلِك فَنَحن وَالقَصر فِدَاءٌ لَه).

كَلَامٌ فِي الحُبِّ :

قِيلَ فِي الحُبِّ كَثِيرٌ وَاختُلِفَ فِيهِ كَثِيرٌ ، فَمِنهُم مَن يُسَمِّي الإِعجَاب حُبّاً، وَمِنهُم مَن أَلبَسَ الغَرَائِز ثَوب الحُبّ ، وَمِنهُم مَن اختَصَرَ الحُبّ بِمَا فِيهِ فِي النَّظرَةِ الأُولَى، لَكِن يَبقَى الحُبّ بِبَسَاطَة اختِيَارٌ أَوَّلًا، غَيرُ مَشرُوطٍ إِلَّا بِالأَخلَاقِ ثانياً ، يَنمُو وَيَكبُرُ مَعَ التَّقَدُّمِ فِي العُمرِ، تَارِكًا لَنَا تجاعيد تُخبِرُنَا عَن قِصَصٍ جَمِيلَةٍ

رُغمَ بِسَاطِة تفاصيلها

وَلَا غِنًى عَن الِاهتِمَامِ فِي الحُبِّ ، فَهُوَ المَاءُ الَّذِي يَجعَلُ زَهرَةَ الحُبّ تَنمُو وتَزهُو، وَهُو المَرهَم الَّذِي يُدَاوِي جُرُوحَ العُشَّاق ، فَلَا يُوجَدُ حُبٌّ دُون اهتِمَام

فإِنْ وَجَدَ هَذَا الحُبُّ والتّعلّقُ ، إيَّاكَ وَأَنْ تُضِيّع الفُرصَة
بِأَنْ تكُونَ مَعَ مَحبُوبِك، فَلَرُبَّمَا أَنت

تَعِيش الآن الفُرصَة الأَخِيرَة وَأَنتَ لَا تَدرِي فَلِمَاذَا تَجعَلُ
هَذَا الحُبَّ أَلَماً وحزناً فِيمَا بَعدَ؟ وَأَنت لَدَيك الوَقتَ الآنَ
...

وَإِذَا كُنت مِمّن فَاتَهُم القِطَار مَا عَلَيكَ إِلَّا أن

تتَحَرّرَ مِن المَاضِي ، لأَنَّهُ سيجعلك شخصاً ضعِيفاً مُضطَرِبَ
السّلُوك وَالأفعَال غَيرَ قَادِرٍ عَلَى الثِّقَة بِأَيّ شيءٍ .

وَالمَاضِي لَا تَجعَلهُ إلَّا دَرسَّاً تَتَعَلَّمُ منه

سَوَاءٌ نَجَحت فيه أَو فَشلت

فَإِن جَعَلَته وَاقِعاً تعيشه لَن تَعِيش إِلَّا بِالوَهم وَاليَأس وَالكَآبَة

فَمَا عَلَيك إِلَّا أَنْ تتقبل فِقدَان الشَّخص ، كَي لَا يَأخُذك هَذَا التَّعَلُّقَ إِلَى جَحِيمٍ من الذِّكرَيَات وَبَعدَهَا سَتَدخُل فِي دَوَامَةٍ مِن الأَحزَان يَصعُبُ عَلَيك الخُرُوجِ مِنهَا ، وَإِنْ خَرَجَتْ سَتَكُون قَد فقدت الكَثِير لِأَجلِهَا.

العَودَةُ الثَّالِثَةُ إلَى المَاضِي

أخبَرَ أَعضَاءُ القَصرِ المَلِكَ بِشُرُوطِ العَودَةِ وَأَنَّ هَذِهِ المَرَّةَ سَيَكُون الفَشَلُ ثَمَنُهُ كَبِيرٌ وَأَخبَرُوه بِأَنَّه سَوف يتذكرُهم ويتذكرُها وَلَه حُرِّيَّةُ الاختِيَار، وَبِأَنَّه سَوف يَعُودُ فِي الزَّمَنِ إلَى وقت أَوَّلِ لِقَاء كان لَهُ مَعَ بَتُول، وَكُلُّ مَا يَتَوَجَّبُ عَلَيهِ أَنْ يتفاداها، فَإِن قاوَم ذَاك الشَّغَف وَالحُبّ لبتول ، وعَادَ إلَى القَصرِ سَوف يشفَى مِن هَذِهِ الحُمَّى .

أستَيقِظ المَلِكُ فِي المَاضِي ، وَإِذَ هُوَ فِي الجَامِعَةِ يَلتَقِي صَدِيقَهُ أحمَد ، وَيَومٌ كَأَيَّامِ الدَّوَام السَّابِقَة ، اقتَرَب الصَّدِيقَان مِن دَرَج الجامعة للصعود، وَمَع أَوَّلِ دَرَجَةٍ يَضَع عَلِيّ قَدَّمَهُ عَلَيهَا تَذَكَّر كحلمِ عَابِرِ كَلَام الأَطِبَّاء ، وَتَذَكَّر قَصرَهُ الجَمِيل وَعَرفَ بِأَنَّ الاختِبَارَ قَد بَدَأ هُنَاك

فتاتَان تنزلان مِن الدَّرَج ، وَتَبَادَلُوا السَّلَامَ مَعَ أَحمَدَ ، وَلكَي يتفادى عَلِيّ رُؤيَة بَتُول الَّتِي لَا تَعرِفُهُ الآن ، أَسقَط كُتُبَهُ وَبَدَأ يَجمَعُهَا بِبُطءٍ ، فَقَالَ أَحمَدُ :(هَيّا يَا عَلِيّ كَي نَذهَب معاً) .

أَجَابَ عَلِيٌّ : (اذهَبوا وَسَوف أتبَعُكُم).

وَعِندَ نُزُولِ الأَصدِقَاء، صَعد عَلِيٌّ إِلَى الدَّورِ الأَعلَى يَمشِي فِي المَمَرِّ ، وَكَأن الذِّكرَيَات تَزَاحَمَتْ فِي ذِهنِهِ عَلَى شَكلِ محطات ذَاك الحُبِّ الجَمِيل ، وَتَذَكَّر فِي مَاضٍ مَا ، كَانَ حَقِيقَةً كَيفَ تَعَرَّفَ ببتول؟ وَكَيف أَحَبَّهَا ؟ كَيف ضَحِكَا مَعاً؟ كَيف مَرَحا معاً ؟وكَيف عَشِقَهَا حَتَّى الجُنُون؟ . . . وَالآن هِي لا تعرفه وَكَأَنَّه نَسِيمٌ عَابِرٌ ، وَكَأَنَّه لَم يكُن يَوماً مَا فِي حَيَاتِهَا وَلَمَّا يَحتَمِل عَلَيٌّ هَذِهِ الذِّكرَيَات ، لَحِقَ بِهِم وَجَلَسَ مَعَهُم وَهُوَ الغَرِيبَ عَنهَا فَهِيَ الآنَ لا

تعرف عَنهُ سِوَى أَنَّهُ صَدِيق أحمَد ، فَبدأ يُظهِر لَهَا بِأَنَّهُ يَهتَمّ بأمرها ، وَبَعدَ الكَلَامِ بَدَأَتْ بَتُول مِن جَدِيدِ تَهتَمّ لِهَذَا الشَّخصِ الجَدِيد

إنه عَلَيَّ مَرَّةً أُخرَى يعشقها كَمَا قَالَتْ أُمّ كلثوم (وإنْ كُنتُ أَقدِر أَحَبّ تاني أحِبّك أنت) لَكِن يَبدو أَنَّهُ سيكُلِّف عَلِيّ كَثِيراً أَنَّ يَعشَق الشَّخص نَفسهِ فِي زَمَنَينِ مُختَلِفَين ، فذَهَبَا يَمشِيَان إلَى باحَةِ الجَامِعَة حَتَّى غابا عَن كُلِّ عينٍ .

القَصر

بَدَأتْ أسوارُ القَصر تَنهَار ، وَبَدَأ كُلُّ مَن فِي القَصرِ يَتَبَخَّر ،
وَكَأَنَّهُ لَم يَكُنْ فِي يَومٍ مَا هُنَا

فتهاوَ القَصر كُلّهُ حَتَّى اختَفَى فِي ظَلَامِ عَمِيقِ

فتَحرّرتْ أطيافهُ ورَحلَتْ إلَى اللّاعَودَة

فَاليَوم مَا عَادَ هُنَاكَ مَلِكٌ ، وَلَا قَصرٌ وَلَا سَاكِنِيه .

أمَّا خَارِجَ القَصر

لَكِن لاَبُدَّ أَنْ نَجِدَ عَلِي ، أينَ هُوَ ؟ فَقَد اختَفَى سرَّه الجَمِيل ، ذهَبنا نبحث عَنهُ فِي مَنزِلِهِ ولَكِن لَم نَجِدْهُ ، جُبنا الشَّوَارِع ولَم نَجدْه ، وَفِي هَذِه الأَثنَاء سمَعنا صَوتَ سَيّارَةِ مُسرِعَةٍ وَصَوتُهَا يَختَرِقُ أجوَاء المكَانِ، نَنظُر فَإِذ هِيَ سَيّارَةُ الإِسعافِ تتبعَناهَا مُسرِعين إلَى المَشفَى حَتَّى وصَلنا إلَى غُرفَةٍ كُتِبَ عَلَيهَا العِنَايَةُ المُشَدَّدَة وَإِذ عَلِيّ مُمَدَّدٌ فِيهَا ، ودقاتُ القَلب تَخفُتْ شَيئاً فَشَيئاً ، لَكن لَا بُدَّ لِدَفتَرِ الذِّكرَيَاتِ أَنْ يُفتَحَ مِن جَدِيدٍ ، وَخَاصَّةً حِينَ يَكُونُ المَرءُ فِي سَكَرَاتِ المَوتِ

لتتحرك صَفَحَاتُ الدَّفتَر بِسُرعَةٍ ، فتتكرر الأَحدَاثُ الَّتِي عَاشَهَا وَتُصبِحَ بَطِيئَةً عِند صَفحَةٍ فِيهَا ذَاك الخِتمُ الأحمَر

الجَمِيل ، فَطلبتْ رُوحَهُ عنَاقها ، وَبدَأ لِسَانَهُ يَهذِي بِاسمِهَا ، واشتاقَ لسَمَاع صَوتَهَا لِآخَر مَرَّةٍ ، وَلِأَنَّهُ عَلَى فِرَاش المَوتِ لَم يَحدُثْ كُلُّ هَذَا ، فَاضطَرّ العَقلُ لتعويض هَذَا النَّقصِ، فرسمَ لَهُ فِي ا لخَيَالِ بِأن حبيبتُهُ بَتُول أَقبلَتْ إلَيهِ وَبِأَنَّهَا جَلَسَتْ بِجَانِبِه عَلَى فِرَاشِهِ، وَلَمَسَتْ بِيَدِهَا وَجَهَهُ ، وغطتْهُ بِشَعرِهَا فَرَأى اِبتسامَتَها ، فَدَمعَتْ عَينَاهُ وأطمأنَّ قَلبه ، لِترحَلَ رُوحَهُ بِسَلَام ، لتَنتَهِي قِصَّتُهُ إلَى الأَبَدِ .

رَحَل المَلِكُ مَعَ طَيف بَتُول، وَمَات عَلَيٌّ مِن شِدَّةِ حُمَّى الحُبّ

ولَم يَكُنْ ذَاكَ القَصرُ إلَّا قَلعَة حَلَب ، حَيثُ تَبَادَلَ عَلِيّ وبتول عُهُودَ الحُبِّ فِيهَا، فَكَانَتْ الذِّكرَيَات تحيَا فِي ذِهنِهِ فتدبّ الحَيَاة فِي القَلعَةِ فَيَكُونُ هُوَ المَلِكُ وَهِيَ المَلَكَة

وحين قَالَ المَلَكُ بِأَنَّه سَجِّين القَصرِ لَم يخطئ لِأنَّ كُلَّ إنسَانٍ هُوَ سَجَين أفكاره

وَحِين كَانَ الاختِيَارُ بَينَ القَصرِ وساكنيه مِن جِهَةٍ وَبَين طَيف بَتُول مِن جِهَةٍ أخرَى، لَم يَكُنْ الاختِيَارُ إلَّا صِرَاعاً دَاخِلَ عَلِيّ بَين التَّغَلُّبِ عَلَى فِكرِةِ أَنْ يَتَقَبَّلَ الوَاقِعِ بِمُسَاعَدَة أفكَارِه أو البَقَاءَ فِي الوَهمِ وَالرِّضَى ولَو بِطَيف بتول

وَلَم يَكُنْ سُكَّانُ ذَاك القَصرِ إلَّا بَنَاتُ أفكَارِ عَلِيّ

فـ الحكيم وَقُتَيبَة وَكُلّ أعضَاء القَصر هُم لَيسُوا إلا أفكَارِ تَجُولُ فِي دَاخلِهِ ، وَلَو نَجَح قتيبة بإقناع الأعضَاء بِخِيَانَة بَتُول وَلَو وَهماً لاستطاع عَلَيَّ بِذَلِك تَجَاوَز الأمر، وَلَكِن لَم يَرضَ حَتَّى الشَّكّ بإخلَاصها وحُبها.

وَحِين ثَقُلَتْ عَلَيهِ الحُمَّى أصبَحَ لاَ يَستَطِيعُ أَنْ يُمَيِّزَ بَينَ الحَاضِرِ و المَاضِي ، فتداخلتْ عِندَه الأفكَار فَأَصبَح كُلّ شَيءِ لَا مَنطِقِي ، مَادَام رَحِيلُهَا بِالنِّسبَةِ لَهُ لَا مَنطِقِي ، فَمَن الصَّعبِ أَنْ تَختَصَرَ العَالَمَ كُلَّهُ لِأجلِ أحَدهم . . . فتَمرَّ الأَيَّام لِيَرحَلَ ذَاك الشَّخص ، فَتُصبِح وَحِيداً تَصَارَع الأَلَم ، فَمَن يدفعك مِن فَوقِ صَخرَةِ أهوَنَ عَلَيك مِن أَنَّ يَقطَعَ الحَبل بِك وَأنتَ تتَسلَّقها .

وأكملتْ جَدَّتِي حِكمَتَهَا قَائِلَة

(فِي نِهَايَةِ المَطَاف ، الحُبّ لَا يَعرِفُ قَوَانِينَ الوَاقِعِ القَائِمِ عَلَى التَّوَافُقِ وَالتَّكَافُؤِ بَين العُشَّاق

فَهُوَ لَا يَخضَعُ لِحَدٍّ مَا ، وَهُو يَعِيشُ فِي كُلِّ زَمَانٍ و مَكَانٍ وَلَا يَعرِفُ عُمراً محدَّداً . وَلَرُبَّمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَى التعويد وَالتَّضحِيَة ، وَهَذَا مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ الزَّوَاج التَّقلِيدِيّ فِي بَعضِ الأَحيَانِ فَإِنْ حَدَثَ هَذَا الحُبّ ، ختم فِي دَفتَرِ ذِكرَيَات المَرء ختماً أحمَر جَمِيل ، لَا تَستَطِيعُ السَّنَوَاتُ أَن تمحوهُ ، لَكِن لَرُبَّمَا يعتلِيه بَعض الغُبَارِ مَعَ مُرُورِ الوَقتِ وَتَغَيّر الظُّرُوف .

فَالَّذِين يُنكِرُون حُبّاً قَدِيماً فِي حَيَاتِهِم، إمَّا أَنّ هَذَا الحُبّ عِبَارَةٌ عَن إعجَابٍ لَم يُختَمْ لَهُ خِتمُ الحُبِّ الأَزَلِيّ ، أَو أَنَّهُم عِبَارَةٌ عَن ممثلين جَيِّدَين يُحَاوِلُون إخفَاء

مَشَاعِرِهِم، ليتأقلموا مَع وَاقِعِ حَالِ يعيشونه ، أَو بِأَنَّهُم لَم يَعرِفُوا الحُبّ أبداً) .

تَأَلَّمنا لِنِهَايَة المَلِكِ عَلَيّ وَالتَمَستُ ذَلِكَ مِن وُجُوهِ الحَاضِرِين ، مَاذَا لَو أنَّ عَلِيّاً استَطَاع تَجَاوَز الأمر ؟ وَوَجَد حُبّاً فِي مَكَان مَا ، وعَاش حَيَاةً فِيهَا شَيءٌ مِن الرِّضَا ، أَلَم يَترُك الِاطمِئنَان فِي قُلُوبِ مَن سَمِعَ قِصَّته ؟ عَلَى قَدرِ مَا أحبَبْنَا عَلِيّاً كَم تَمَنَّيْنَا ذَلِك ، وَلَكِن صُدمنا بِمَا جَرَى له فَانتَظَرْتُ حَتَّى بَقِيتُ وَحدِي مَع جَدَّتِي

وَقُلْتُ لَهَا جَدَّتِي: (ألم تَستَطِيعي أن تُغَيِّرِي نِهَايَة القَصّةِ إلَى شَيءٍ يَبعَث الأَمَل لسَامِعيها لَقَد أضَفتِ حُزنًا وَوَجَعاً إلَينَا بِهَذِه النِّهَايَة ؟)

فَقَالَتْ (وَمَن أخبَرَكَ هَذِه نِهَايَتُهُ فِي الحَقِيقَةِ ؟)

فَقُلْت (ألم تُخبِرِينَا بِأَنَّهُ مَاتَ ؟!)

فَقَالَتْ (نَعَم . .   هُوَ مَاتَ فِي القِصَّةِ لَكِن لَم يَمُتْ فِي الحَقِيقَةِ ، وَأَرَدْتُ النِّهَايَة هَكَذَا ، لِكَي يَقِف كُلُّ شَخصٍ وَقفةَ مَسؤُولٍ فِي قِصَّةِ حُبِّه   وَيَبدَأ يُفَكِّر جَيِّداً لأَنَّ لَا تكُونُ نِهَايَته مِثلَمَا حَدَث لعلي

يا بُنَيّ كُلّ القِصَص الَّتِي انتَهَتْ نِهَايَةً سَعِيدَةً مَا عُدْنَا نَتَذَكَّر مِنهَا إلَّا الأَسمَاء ولَرُبَّمَا نَسِينَا أَسمَاءهُم ، أَمَّا الَّذِينَ مرّوا بتَجَارِب قَاسِيَةٍ ظَلَّت فِي وِجدَانِنَا

فَانظُر يَا بُنَيّ ، كَم مِن عَلِيٍّ وبتولٍ حَولَنَا . .

لَا يَشعُرُونَ بِمَا يَجِبُ عَلَيهِم فِعلَهُ إلَّا حِينَ يسرقُهمُ الوَقت)

فَقُلْتُ :(هل لَا زَالَ عَلِيّ مَرِيضاً ؟)

فَقَالَتْ :(لا ، وَلَكِن خَسِر الوَقتَ ، وَخَسِر الثقةَ

وَأَصبَح الحُبّ لَدَيه شِبهُ مُستَحِيلٍ ، لِأَنَّهُ يَبحَثُ عَن حُبٍّ يُشبِهُ حُبّ بَتُول . . وَلَكِن لَيسَتْ بَتُول الَّتِي عرفَها، لَكِن بَتُول الَّتِي صَنَعَهَا فِي عَقلِهِ)

وَهَكَذَا سَيظَلُّ المَلِكُ يَبحَثُ عَن حبيبتِهِ الضَّائِعَة

الَّتِي لَم يَجِدْهَا إِلَّا فِي الأَحلَام .